الفصل السادس

الإسرائيليات إفساد لم يتوقف بعد

المصطلح والتعريف

أجمع العلماء من السلف الصالح على تعريف الإسرائيليات أنها كل ما ينسب إلى بني إسرائيل.

وفي هذا التعريف العام فإن كتاب موسى عليه السلام، وكذلك التوراة والتلمود تعتبر من الإسرائيليات أي ما يخص بني إسرائيل.

لكن معنى الإسرائيليات الذي نحن بصدده هو كل ما أدخل من حكايات إسرائيلية في تفاسير القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ وتراث المسلمين الديني.

ويرادف هذا التعريف والمصطلح مصطلح الموضوعات، وهو مأخوذ من وضع الشيء يضعه وضعاً إذا حطه وأسقطه. وأما في اصطلاح أئمة الحديث: فالموضوع هو الحديث المختلق المصنوع المكذوب على رسول الله ﷺ أو على من بعده من الصحابة والتابعين. وقد نسب إلى النبي ﷺ وإلى الصحابة والتابعين كثير من الإسرائيليات في بدء الخلق والمعاد وأخبار الأمم الماضية والكونيات وقصص الأنبياء.

وغايتنا في هذا الفصل أن نكشف العلاقة بين الإسرائيليات وبين أصولها التوراتية والتلمودية المحرفة، وبالتالي غايتنا أن نكشف ماهية تلك التوراة المحرفة وعدم صلتها بما أوتي النبي موسى عليه السلام من كتاب وما أنزله الله سبحانه من توراة على أنبياء بني إسرائيل.

كيف دخلت الإسرائيليات؟

من المعروف أن موقف اليهود بشكل عام من الرسالة الإسلامية ومن سيدنا محمد ﷺ كان موقفاً عدائياً منذ بدء الدعوة. وهذا العداء أخذ أساليب كثيرة ومتنوعة. فمنها ما كان مباشراً ومنها ما كان غير مباشر. وعندما انكسرت شوكتهم في المدينة ثم في بقية المناطق حل فيهم الضعف ولم يعودوا قادرين على فعل شيء أمام انتشار الإسلام وقوته فانتقلوا إلى أسلوب عدائي جديد وهو الدس في الإسلام وتشويه صورته وذلك من خلال التفاسير لآيات الله وكذلك من خلال الدس على حديث رسول الله ﷺ، وحتى لا تختلط الأمور ببعضها لابد أن ننوه إلى أن الدس الخبيث لم يتوقف وحتى هذه الأيام. ولكن مع كل ذلك لابد أن نشير أيضاً إلى أن بعض المسلمين يحمّلون اليهود الذين أسلموا زمن رسول الله ﷺ دخول العديد من الإسرائيليات في التراث الإسلامي والواقع أن يهوداً آخرين غير الذين عرفنا سيرتهم هم من دسّوا ذلك الدس بقصد تدمير العقيدة الإسلامية.

أما الذين أسلموا من اليهود فلا نعتقد أن في قصدهم ونيّاتهم الدس في الإسلام لتدميره إنما هم نقلوا ما حفظوا عن أسلافهم اليهود من قصص وغيرها وقد انتشر بعض ما رووه، وقد نبه المفسرون والعلماء إلى عدم الجزم بصحة ما نقل عن هؤلاء وكان ذلك استناداً على تنبيهات رسول الله ﷺ بشأن الأخذ أو عدم الأخذ عن هؤلاء اليهود الذين أسلموا.

وقفة للرد

بعض الباحثين المعاصرين رأوا أن اليهود الذين أسلموا وعلى رأسهم عبدالله بن سلام ووهب بن منبه وكعب الأحبار أدخلوا في التراث الإسلامي الكثير الكثير من الإسرائيليات حتى بدا لهم أن هناك تقاطعاً كبيراً حدث بين التراث الإسلامي المابعد القرآني وبين التلمود.

ولعل أخطر ما طرح في هذا الجانب ما جاء به الباحث نبيل فياض في كتابه (مدخل إلى مشروع الدين المقارن).

يقول في الصفحة 59 من كتابه: إن كل من يمتلك إطلاعاً وافياً على الجوانب المثولوجية في التقاليد الإسلامية المابعد القرآنية والتقاليد الهاغادية يشعر بمدى التقاطع المذهل بين التراثين، وباستثناءات قليلة لا نمتلك دليلاً دقيقاً على أن هذا الطرف أخذ عن ذاك. مع ذلك فقد اقترحنا في أحد أعمالنا أن ثمة دوراً للربانيين اليهود الذين اعتنقوا أو أظهروا اعتناق الإسلام في إدخال هذا الكم الهائل من التراث الميثولوجي الرباني في التقاليد الإسلامية.

لقد غاب عن ذهن السيد فياض أن من أدخل غالبية الإسرائيليات يهود أو متنصرون ليس من بينهم هؤلاء اليهود الذين أسلموا.

ثم إن التقاطع بين الجوانب الميثولوجية الإسلامية والتلمود ليس تقاطعاً إسلامياً تلمودياً إنما تقاطع شعبي يستند إلى تراث شعبي سببه التراكم الثقافي الشعبي لدى شعوب المنطقة العربية منذ ما قبل الإسلام بكثير.

وتحت عنوان الرموز الثلاثة، تناول فياض بالتجريح عبدالله بن سلام وكعب الأحبار ووهب ابن منبه وطعن فيهم وفي رواياتهم. لكنه يجحف كثيراً ويماري الحقيقة حين يقول إن وهب بن منبه هو واحد من أهم المفسرين الأوائل للقرآن، وله تعود أعمال كثيرة استخدمت كمصادر تفسيرية هامة للقرآن وقصص الأنبياء.

ونعود لنقول إن رسول الله ﷺ نبهنا كثيراً بالنسبة للأخذ من أهل الكتاب وما دام الله سبحانه منّ علينا بالقرآن الكريم فلا داعي للتوقف كثيراً عند ما يخالفه من الإسرائيليات والموضوعات.

ونعتقد أن الأمة الآن أصبحت على مستوى من الوعي يمكنها ويمكن باحثيها وعلماءها من التمحيص والدراسات المتعمقة بحيث لا تفوت على عقول أبنائها مثل تلك الإسرائيليات التي تشوه العقيدة الإسلامية والتاريخ الإسلامي.

وإذا أردنا الإنصاف وعدم الوقوع في الباطل فإننا لابد أن نتحدث عن هؤلاء اليهود الذين أسلموا وحسن إسلامهم.

❖ عبد الله بن سلام: وكان من أعلم علماء اليهود بشهادتهم وكان من علماء الصحابة بعد إسلامه وقد شهد له رسول الله ﷺ بأنه من أهل الجنة، ولإسلامه قصة ذكرتها وأجمعت عليها كتب السيرة.

فهو صحابي والصحابة عدول كلهم فمن المستبعد أن يصدر عنه كذب في الرواية، وقد أجمع علماء الجرح والتعديل وأئمة علم الحديث على صحة ما نقله وصدق كلامه.

❖ كعب الأحبار: وقد أسلم في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ وقيل في زمن سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ وقيل إنه أسلم في زمن النبي ﷺ. وقد روى عن النبي ﷺ ولكنه مرسل لأنه لم يلق النبي ﷺ وقد روى عنه أكبر الصحابة وأكثرهم علماً لم يُتهم كعب بالوضع والاختلاق.

❖ وهب بن منبه: وهو من خيار التابعين وُلد في آخر خلافة عثمان بن عفان ﷺ وقد أخرج له كبار علماء الحديث ورواته كالبخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

وقد قال العلماء إننا لا ننكر أن بسببه دخل في كتب التفسير إسرائيليات وقصص بواطل، ولكن الذي ننكره أن يكون هو الذي وضع ذلك واختلقه من عند نفسه.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعدة من النار» (كتاب أحاديث الأنبياء).

والمراد بحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج قال الإمام مالك: «المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن أما ما علم كذبه فلا» (فتح الباري ج6 ـ ص388).

وقال ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل عليكم» صحيح البخاري.

وعن ابن عباس قال: "كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ أحدث تقرؤونه محضاً لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم".

وعلى هذا فإن الإسرائيليات القديمة والحديثة اختلقها عشرات اليهود على مدى أكثر من ألف وأربعمائة سنة. ومازلنا حتى اليوم نعاني من هذه الإسرائيليات.

إسرائيليات مصدرها شروح التوراة

لعل أكثر ما تعرض له من الدس اليهودي هو علم التفسير، وخاصة تفسير الآيات المتعلقة ببني إسرائيل والنبي موسى عليه السلام وكذلك الأنبياء الخاصين على بني إسرائيل. وكذلك ما رُوي عن قضايا خاصة ببداية الخلق.

1 ـ إسرائيليات في قصة التابوت.
2 ـ إسرائيليات في قصة قتل داود جالوت.
3 ـ إسرائيليات في قصة آدم عليه السلام وما نسب إليه من الشرك هو وزوجه.
4 ـ إسرائيليات في قصة التيه.
5 ـ إسرائيليات في سؤال موسى ربه الرؤية.
6 ـ إسرائيليات في الألواح وغضب النبي موسى وإلقائه إياها.
7 ـ إسرائيليات في سفينة نوح وأولاده.
8 ـ إسرائيليات في قصة يوسف.
9 ـ إسرائيليات في إفساد بني إسرائيل.
10 ـ إسرائيليات في قصة ملكة سبأ.
11 ـ إسرائيليات في قصة الذبيح وأنه إسحق.
12 ـ إسرائيليات في قصة النبي إلياس.
13 ـ إسرائيليات في قصة داود.
14 ـ إسرائيليات في قصة سليمان.
15 ـ إسرائيليات في قصة أيوب.

وهذه الإسرائيليات يعود مصدرها إلى التوراة المحرفة وما قال به أحبار اليهود في أزمنة مختلفة.

وهناك إسرائيليات تأخذ من التوراة جذر القصص ثم تلحقها شروح تلمودية وغيرها ومنها:

1 ـ قصة عوج بن عناق.

2 ـ قصة هاروت وماروت .

3 ـ المسوخ من المخلوقات .

4 ـ في بناء الكعبة .

5 ـ قصة يأجوج ومأجوج .

6 ـ قصة ذي القرنين .

7 ـ في قصة إرم ذات العماد .

8 ـ قصة خلق الدنيا وبدء الخلق وما يتعلق بعمر الدنيا .

9 ـ ما يتعلق بخلق الشمس والقمر .

10 ـ ما يتعلق بتعليل بعض المظاهر الكونية .

11 ـ شجرة طوبى .

12 ـ جبل ق المزعوم وحدوث الزلازل .

وفي القسم الثالث نتعرض لبعض ما يُسرب من إسرائيليات معاصرة خاصة أن الوسائل قد كثرت وتعددت وأصبحت أكثر خطورة . ومنها الإنترنت ومواقعها .

إسرائيليات في قصة التابوت:

وقع أكثرية المفسرين المسلمين في قصة طالوت وتنصيبه ملكاً على بني إسرائيل .

فقد ذكر الطبري والثعلبي والبغوي والقرطبي وابن كثير والسيوطي في تفسيرهم للآية : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ ﴾ [البقرة 248] أموراً بشأن التابوت أكثرها مستمد مما قالته التوراة وما جاء به أحبار اليهود ، فقد قالوا : إن التابوت كان من خشب الشمشاد نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين كان عند آدم إلى أن مات ثم عند شيث ثم توارثه أولاده إلى إبراهيم ثم كان عند إسماعيل ثم يعقوب ثم كان في بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى عليه السلام . فهذا الكلام وإن كان محتملاً للصدق والكذب لكننا في غنية عنه ولا يتوقف تفسير الآية عليه .

وقد نقلوا عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير السكينة قوله : السكينة طست من ذهب كانت تغسل فيه قلوب الأنبياء أعطاه الله موسى عليه السلام والحقيقة أنه ليس في القرآن ما يدل

على شيء من ذلك ولا فيما صح عن النبي ﷺ. وهذه من أخبار بني إسرائيل التي نقلها إلينا مسلمة أهل الكتاب، وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين ومرجعها إلى وهب بن منبه وكعب الأحبار[1].

إسرائيليات في قتل داود جالوت:

وهو ما يتعلق بتفسير قوله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة 251].

فقد استند المفسرون على ما جاء في التوراة وتحديداً في سفر صموئيل الأول والثاني. حيث فصلت هذه التوراة قصصاً كثيرة حول علاقة داود بطالوت ـ شاؤول ـ ومركز القصص وجوهرها أن داود قتل جالوت بمقابل أن يزوجه طالوت من ابنته. وفي هذا الذي ذكروه الحق والباطل والصدق والكذب ولم يرد في القرآن والسنة وقد أعرض عنه ابن كثير حيث قال عند تفسيره للآية: ذكروا في الإسرائيليات أن داود قتل جالوت بمقلاع كان في يده رماه به فأصابه فقتله، وكان طالوت قد وعده إن قتل جالوت أن يزوجه ابنته ويشاطره نعمته.

وعندما نقارن ما جاء في بعض التفاسير عند البغوي والثعلبي وغيرهما بما جاء في التوراة نرى تقاطعاً كبيراً. لحد التطابق. وهذا ما يجب الالتفات والتنبه إليه.

إسرائيليات في قصة آدم عليه السلام:

وقد جاءت خلال تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة 36].

ولم يرد في القرآن الكريم ذكر الحية التي أغوت زوجة آدم ولم يرد ما ورد في التوراة من أمور تفصيلية عن الله وآدم، بل إن ما ورد في قصة الخلق في سفر التكوين يقترب من الشرك بالله والتجسيد والتجسيم لذات الله، تعالى الله عن ذلك.

وقد أشاع كعب الأحبار في الحديث عن آدم عليه السلام. أموراً تخالف العقل والمنطق

---

(1) د. محمد أبو شهبة. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص 170 ـ 171.

والدين كقوله إن آدم أول من ضرب الدينار والدرهم، وأنه عندما هبط من الجنة كان مسوداً جسمه ثم بيّض الله جسده بصيامه ثلاثة أيام. وقيل عنه إنه كان يشرب الماء من السحاب. ومن الإسرائيليات ما لُفق عن ولدي آدم وقد ذكر قصتهما ابن جرير الطبري والثعلبي والسيوطي ومن ذلك أن الدم الذي على جبل قاسيون هو دم ابن آدم. وعن وهب أن الأرض تشفت دم ابن آدم المقتول فلعن ابن آدم الأرض فمن أجل ذلك لا تنشف الأرض دماً بعد دم هابيل إلى يوم القيامة.

ومن ذلك أيضاً ما نسب إلى النبي آدم من قول الشعر. وقد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر وقد روي عن ابن عباس قوله: من قال: آدم عليه السلام قد قال شعراً فقد كذب.

وما الشعر الذي ذكره بعضهم إلا منحول مختلق والأنبياء لا يقولون الشعر. ويقول الزمخشري: "رُوي أن آدم مكث بعد قتل ابنه مائة سنة لا يضحك وأنه رثاه بشعر وهو كذب بحت، وما الشعر إلا منحول ملحون وقد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر".

إسرائيليات في قصة التيه:

وفي قصة تيه بني إسرائيل في سيناء إسرائيليات كثيرة تستند في معظمها على ما جاء في التوراة العبرانية.

منها أنهم كانوا ستمائة ألف مقاتل. وأنهم أُعطوا من الكسوة ما هي قائمة لهم ينشأ الناشئ فتكون معه على هيئته. وسأل موسى ربه أن يسقيهم فأتى بحجر الطور وهو حجر أبيض إذا ما أنزل القوم ضربه بعصاه فيخرج منه اثنتا عشرة عيناً. وذكروا أن هذا الحجر من الجنة ولم يكن حجراً أرضياً ومنهم من قال إنه كان على هيئة رأس إنسان أو رأس شاة. وقيل كان طوله عشرة أذرع. وليس في القرآن ما يدل على ذلك وقولهم إنهم كانوا ستمائة ألف فهذا كذب مخالف للمنطق التاريخي وللحقائق وقد دخل أبناء يعقوب إلى مصر وعددهم سبعون نفراً فكيف صاروا بهذا العدد في مدة قليلة لا تتجاوز الخمسة أشخاص من يعقوب إلى موسى عليه السلام؟

❖ وفي قصة سؤال موسى ربه الرؤية زاد اليهود أضعاف ما هو حقيقي وقد وردت هذه الزيادات في التوراة وكلها تخالف الدين والمنطق والحديث التاريخي. فيقولون في هذه الزيادات إن الله أرسل الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق وأحاطت بالجبل

الذي عليه موسى أربعة فراسخ من كل جانب، وأمر الله ملائكته أن يعترضوا على موسى فمرت الملائكة كثيران البقر ينبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد.

وهذه المرويات كلها من الإسرائيليات ومن كذبهم على الله وعلى الأنبياء وعلى الملائكة.

❖ ومن الإسرائيليات ما ذكره الثعلبي والبغوي والقرطبي والزمخشري والآلوسي حول ألواح موسى عليه السلام. فمرة هي من خشب وتارة من زبرجد وتارة من صخر وقالوا كانت الألواح عشرة أذرع على طول موسى. وقيل نزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يُقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى.

فكل هذه الروايات المتضاربة التي يردّ بعضها بعضاً، إنما هي من الإسرائيليات ولا تعود لرسول الله ﷺ.

❖ ومن الإسرائيليات ما ورد عن سفينة نوح وقد جاءت هذه الإسرائيليات في تفسير الطبري والسيوطي، فأوردت من أي خشب صنعت وما طولها وعرضها وارتفاعها وكيف كانت طبقاتها، ورووا أن سفينة نوح كان لها أجنحة وتحت الأجنحة إيوان. وذكروا أن طول السفينة كان 300 ذراع وعرضها كان خمسين ذراعاً. وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً. ومن رواياتهم أن الأسد الذي كان على السفينة عطس فخرج من منخره سنوران ذكر وأنثى وأن الفيل عطس فخرج من أنفه خنزيران ذكر وأنثى.

وما يروى أيضاً أن السفينة لما رست على الجودي كان يوم عاشوراء فصام نوح وصام معه كل من وما معه في السفينة من بشر وحيوان وحشرة. وهذه الخرافات ابتدعها اليهود منذ ما قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام نشرها أهل الكتاب الذين أسلموا بين المسلمين ونسبوا بعضها إلى النبي ﷺ زوراً وبهتاناً ودساً وكيداً للإسلام ونبيّه.

❖ ومما لفقه اليهود من إسرائيليات ما يتعلق بالنبي يوسف عليه السلام. فقد رووا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل في هم يوسف (وهم بها) قال: حل الهميان ـ السراويل وجلس منها مجلس الخائن فصيح به يا يوسف لا تكن كالطير له ريش فإذا زنى قعد ليس له ريش. ورووا أن البرهان الذي رآه يوسف أنه رأى صورة يعقوب أبيه في الحائط وقيل في سقف الحجرة وأنه رآه عاضاً على إبهامه.

وكل الروايات المشينة التي ألصقوها بالنبي يوسف عليه السلام ينقضها القرآن الكريم من خلال آياته في سورة يوسف.

لقد ذكر هذه الروايات المأخوذة عن اليهود كثير من المفسرين كالطبري والثعلبي والبغوي وابن كثير والسيوطي.

أما التفسير الصحيح لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف 24]. فالكلام من قبيل التقديم والتأخير. التقدير ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها. ولولا حرف امتناع لوجود أي امتناع الجواب بالوجود الشرط. فيكون الهم ممتنعاً لوجود البرهان. وقال بعض السلف الصالح وعلى رأسهم الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: البرهان هو النبوة التي أودعها الله في صدر يوسف حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل.

❖ ومن الإسرائيليات ما أحيط من هالة وخرافة حول شخصية بختنصر الذي غزا بني إسرائيل وأخذ قسماً كبيراً منهم في السبي البابلي، فقد نُقل عن المخبرين اليهود أن بختنصر قتل على دم زكريا سبعين ألفاً ثم سبى أهلها وسلب حلي بيت المقدس واستخرج منها سبعين ألفاً ومائة ألف عجلة من حلي حتى أوردها بابل. قال حذيفة: فقلت يارسول الله! لقد كان بيت المقدس عظيماً عند الله قال: أجل بناه سليمان بن داود من ذهب ودر وياقوت وزبرجد وكان بلاطه من ذهب.

وهذا الكلام ليس صحيحاً وفيه من الكذب على رسول الله ﷺ الكثير الكثير.

❖ ومن الإسرائيليات ما ذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل 44].

فقد ذكر ابن جرير والثعلبي والبغوي والخازن وغيرهم: أن سليمان أراد أن يتزوجها فقيل إن رجليها كحافر الحمار وهي شعراء الساقين، فأمرهم فبنوا له هذا القصر على هذه الصفة فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها لتخوضه فنظر سليمان فإذا هي أحسن الناس قدماً وساقاً إلا أنها كانت شعراء الساقين فكره ذلك.

وقد قال ابن كثير في تفسيره: والأقرب في هذه السياقات أنها متلقاة من أهل الكتاب

مما وجد في صحفهم كرواية كعب ووهب.

❖ ومنها أيضاً ما ذكروه عن هدية ملكة سبأ، فقال البغوي أهدت إليه وُصفاء ووصائف ألبستهم لباساً واحداً كي لا يعرف الذكر من الأنثى. وقال وهب وغيره عمدت بلقيس إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الغلمان لباس الجواري وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب. وبعد ذلك قالت ملكة سبأ لسليمان. إن كنت نبياً فميّز لي بين الوصائف والوصفاء. وكل ذلك من الإسرائيليات وليس في الحقيقة من شيء.

❖ ومن أمثال ذلك ما رووه عن النبي إلياس والنبي داود وكذلك النبي سليمان والنبي أيوب. وكل ما رووه يشوِّه سيرة هؤلاء الأنبياء ويصنع حولهم الخرافات والخزعبلات، وخاصة ما لفقوه على داود عليه السلام من أنه قتل قائداً من قادة جيشه ليحظى بامرأته وما لفقوه عن سليمان بأنه صنع لزوجاته الألف معابد وثنية لهن، ونسي عبادة ربه بعد أن أمالت نساؤه قلبه إلى الوثنية.

إسرائيليات مصدرها أحاديث وخرافات أهل الكتاب وليس مصدرها التوراة

ليس مصدر الإسرائيليات كتاب التوراة وحده أو شروحه في كتاب التلمود، فهناك من القصص والحكايا والخرافات والأساطير بثها بعض اليهود في التراث الشعبي العربي الإسلامي وصارت مع الزمن تدخل في الجانب الديني وخاصة القصص القرآني، حتى ليغفل القارئ البسيط عن ذلك التناقض الجوهري بين الإسلام وبين تلك القصص والخرافات.

ولعل أكثر من أورد هذه الخرافات وجعلها في صلب التراث الإسلامي الثعلبي النيسابوري في كتابه المسمى (عرائس المروج).

❖ فمن ذلك ما وضعه زنادقة أهل الكتاب على النبي ﷺ من خرافات في خلق بعض أنواع الحيوانات التي زعموا أنها مسخت. ولو أن هذه الخرافات نُسبت إلى كعب الأحبار وأمثاله أو إلى بعض الصحابة والتابعين لهان الأمر ولكن عظم الإثم أن يُنسب ذلك إلى الرسول المعصوم ﷺ.

أوردوا حديثاً عن علي ﷺ أن النبي سئل عن المسوخ فقال: هم ثلاثة عشر، الفيل والدب والخنزير والقرد والجريث (نوع من السمك) والضب والوطواط والعقرب والدعموص والعنكبوت والأرنب وسهيل والزهرة. فقيل يا رسول الله! وما سبب مسخها فجاء التخريف والكذب في الجواب الذي نسبوه إلى رسول الله ﷺ زوراً وبهتاناً فقال: فأما الفيل فكان رجلاً جباراً لوطياً لا يدع رطباً ولا يابساً. وأما الدب فكان مؤنثاً يدعو الناس إلى نفسه، وأما الخنزير فكان من النصارى الذين سألوا المائدة، وأما القردة فيهود اعتدوا في السبت...

ويتابع الحديث الكذب حتى يصل إلى منتهاه في تفسير مسخ هذه المخلوقات وقد أورد ذلك السيوطي من غير سند ولم يعقب عليه بكلمة استنكار واحدة وقد ذكره السيوطي في كتابه اللآلئ.

❖ ومن الإسرائيليات ما قيل في عظم خلق الجبارين وخرافة عوج بن عناق، وقد

توقف بعض المفسرين عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ [المائدة 22].

فقد ذكر السيوطي وصفاً لهؤلاء الجبارين هو أقرب إلى الخرافة. ومنه مثلاً أن سبعين رجلاً من قوم موسى استظلوا في خف رجل من العماليق. وما روي من أن ضبعاً وأولادها كانت رابضة في عين أحد هؤلاء العماليق.

❖ ومن الإسرائيليات الظاهرة البطلان، ما قالوه عن عوج بن عناق فقالوا: إن طوله كان ثلاثة آلاف ذراع وأنه كان يمسك الحوت فيشويه في عين الشمس، وأن طوفان نوح لم يصل إلى ركبتيه، وأنه امتنع من ركوب السفينة مع نوح وأن موسى كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع ووثب في الهواء عشرة أذرع فأصاب كعب عوج فقتله.

وواضح من خلال هذا الكلام المضحك المتناقض كم وصلت الخرافة في أذهان بعض الجاهلين؛ فكيف يمكن أن يكون عوج قد عاش زمن نوح ثم ظل حياً إلى زمن موسى، ثم إن السفينة - أي سفينة نوح - لا يمكن أن تستوعب هذا العملاق وهو أكبر منها بعشرات المرات، ثم إن الطوفان أتى على كل شيء حتى ابن نوح غرق ولم يستطع أن ينقذ نفسه. وقد روى ذلك ابن جرير الطبري في تفسيره. وانتقد هذه الخرافات ابن كثير فقال معلقاً: وهذا شيء يُستَحى من ذكره ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين، ويقول ابن القيم: فكل ذلك من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء والسخرية بالرسل وأتباعهم.

❖ ومن الإسرائيليات ما أوردوه عن ذي القرنين، ووقفوا عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾ [الكهف 83-84].

فقد ذكر ابن جرير عن وهب بن منبه اليماني وكان له علم بالأحاديث الأولى أنه يقول: ذو القرنين رجل من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الإسكندر وسمي بذي القرنين لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس.

وعند ذكرهم ليأجوج ومأجوج أوردوا من الخرافات الكثير. ومنها أن كل خمسة

منهم يجلسون تحت نبتة حمّص، وأن الواحد منهم يمد أذنه ليفترشها بساطاً تحته أو يمده فتصبح عريشاً تقيه حر الشمس، وقد بالغوا بوصف السد الذي بناه ذو القرنين حتى أصبح من الخوارق والخرافات التي لا يقبلها عقل.

❖ ومما ورد في كتاب الثعلبي حول هبوط إبليس إلى الأرض قوله: أنزل إبليس من السماء عليه عمامة ليس تحت ذقنه منها شيء أعور في إحدى رجليه نعل. ويقول الثعلبي: روى حماد عن ثابت وحميد عن عبدالله بن عبيد بن عمير أن إبليس قال: يا رب لعنتني وأخرجتني من الجنة وجعلتني شيطاناً رجيماً مذموماً مدحوراً وبعثت في بني آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما رسلي؟ قال: الكهنة. قال: فما كتبي؟ قال: الوشم. قال: فما حديثي؟ قال: حديثك الكذب. قال: فما قراءتي؟ قال: قراءتك الشعر. قال: فما مؤذني؟ قال: مؤذنك المزمار. قال: فما مسجدي؟ قال: مسجدك السوق. قال: فما بيتي؟ قال: بيتك الحمام. قال: فما طعامي. قال: طعامك ما لم يذكر اسمي عليه. قال: فما شرابي؟ قال: شرابك كل مسكر. قال: فما مصايدي؟ قال: مصايدك النساء.

ولاحظ معي ماذا قال الثعلبي: روى مقاتل وجويبر عن الضحاك عن ابن عباس أن إبليس لما خرج من الجنة ألقى الله عليه الخرقة والغلمة فنكح نفسه فباض أربع بيضات فمنها ذريته.

فكم من الهراء والخرافات لحقت ما يرويه الثعلبي.

وذكر الثعلبي أموراً أخذت من التوراة تارة ومن الخرافات تارة أخرى، فقال قال عطاء: ودعا نوح على حام أن لا يعدو شعر ولده آذانهم وحيثما كان ولده يكونون عبيداً لولد سام ويافث.

❖ وفيما رواه في قوم هود قوله: قال أبو حمزة اليماني كان طول كل رجل منهم سبعين ذراعاً. وقال الكلبي: كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعاً. وقال وهب ابن منبه كان رأس أحدهم كالقبة العظيمة وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع.

❖ ومن ذلك ما لفقوه على الأنبياء فقال وهب بن منبه: أوحى الله تعالى إلى يعقوب. أتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة؟ قال: لا يا إلهي! قال: لأنك شويت عناقاً وقتّرت على جارك وأكلت ولم تطعمه. ويقال: إن سبب ابتلاء

يعقوب بفقد يوسف أنه كان له بقرة ولد لها عجل فذبح عجلها بين يديها وكانت تخور فلم يرحمها يعقوب فأخذه الله بذلك فابتلاه بفقد أعز ولد إليه.

❖ وقد ذكر الثعلبي في كتابه عرائس المروج أبواباً، في كل باب حديث عن مسألة من مسائل الخلق. فتحدث عن صفة خلق الأرض، وفيه بدء خلق الأرض وكيفيتها ثم في حدودها ومسافتها وأطباقها وسكانها، ثم ذكر الأيام التي خلق الله فيها الأرض، ثم جعل باباً في ذكر ما زين الله به الأرض، وفي عاقبتها وآخر حالها، ثم تحدث عن خلق السماوات والأرض وهيئتها وأجناسها وحدودها ثم ذكر الأيام التي خُلق بها الأنبياء، ثم ما زُينت به السماء ثم تحدث عن خلق الشمس والقمر وصفة سيرهما.

❖ ومن خرافات ما قاله: إن الأرض ركبت على قرني ثور فإذا نقلها من قرن لقرن أحدث فيها الزلازل والبراكين وما إلى ذلك مما يخالف القرآن الكريم والحديث الصحيح والعقل.